International Journal of Psychosocial Rehabilitation, Vol. 26, Issue 01, 2022
ISSN: 1475-7192

Building a Transcendental (Complete) Person by Muhammad Iqbal

Boulanouar Krifif [1], Kehileche tayeb[2]
[1] University of Algiers 2 (Algeria)
[2] University of Algiers 2 (Algeria)
Received: 10/2022 Published: 11/2022

Abstract :

A person is present in this existence with its sensory and moral dimensions, and when he tries to prove his existence, that is, its effectiveness, he must first establish its sensory and moral meaning, secondly, set his distance with the other one and take himself in the subject as an attempt to understand what he is and set his equation of his existence to achieve his perfection and his integrity and to be a model example that defined himself and our meaning and knew What is his and what is on it and his revelation became a reality, as an activity raging on the ground her soul is returning to the sky, so it was necessary to be pigmented with its dye and like it built its society and even its state as a harmonious cosmic building.
Keywords: Temps, lieu, personne, volonté, Connexes, renaissance.

بناء الإنسان المتسامي (الكامل) عند "محمد إقبال"

بولنوار كريفيف[1] *، طيب كحيلش[2] *
[1]جامعة الجزائر-2- (الجزائر)،
[2]جامعة الجزائر -2- (الجزائر)،

ملخص:
الإنسان موجود في هذا الوجود بأبعاده الحسية والمعنوية ومتى حاول إثبات وجوده أي فاعليته، عليه أولا إقامة معناه الحسي والمعنوي،ثانيا ضبط مسافته مع الموجود الآخر وأن تستغرق ذاته في الموضوع كمحاولة لفهم ماهيته وضبط معادلة وجوده لتحقيق كماله وتكامله وليكون مثالا نموذجي عرف نفسه وبنا معناه وعرف ما له وما عليه وأصبح تجليه حقيقة، كفاعلية تدب على الأرض روحها العارجة إلى السماء، فوجب الاصطباغ بصبغته وعلى شاكلته بنى مجتمعه وحتى دولته كبناء كوني متناغم .
الكلمات المفتاح :زمان، مكان، إنسان، إرادة، ذات، نهضة.

*** د / بولنوار كريفيف * د/ طيب كحيلش تخصص: أدب مقارن**

1. مقدمة:

الإنسان كائن موجود بين الموجودات الأخرى فمجرد وجوده هو تسام وتعالي ناهيك على أن له اليد الطولى في إثبات أحقيته بخلافة الأرض وعمارتها وأنه هو الأحق والأجدر في ذلك وأن عليه بناء مبناه ومعناه لإقامة معنى لوجوده وللإجابة عن الأسئلة الحاسمة التي تؤرقه وتمكن له في فعل الحياة بداية ونهاية ومصير وتمكن له الاستمرار عبر الزمان والمكان وأن هذا الإنسان له القدرة والفاعلية في صنع قدره سواء كان فردا أو أسرة أو جماعة أو دولة. **"إقبال"** من بين الذين حملوا فانوس المعرفة للبحث عن الإنسان فهو فيلسوف وشاعر هندي بحث في فلسفة الإنسان وبناء الذات كنظرة إستشرافية للراهن المعاش للأمة الإسلامية من أجل التجديد وبعث روح الإسلام من جديد فحاول مقاربة التجديد في الخطاب الديني من أجل فلسفة جديد ترقى بالإنسان المسلم لبناء معناه.منخلال هذا البحث أحاول أن أقارب مفهوم التسامي والكمال عند الفيلسوف "محمد إقبال" بداية تطرقت إلى مشروعه الفلسفي وبعدها وصف وتوصيف فكرة الإنسان المتسامي (الكامل) .

2.مشروع "محمد إقبال"الفلسفي:

يعتبر **"محمد إقبال"** مزيجا بين جمالية الشعر والنثر إلى إبداعية الأدب والفكر وحسن الخطابة وفاعلية الحركة، هذا إلى جانب معرفته العميقة بالثقافة الغربية مما أدى به إلى تكوّن عناصر إبداعية في طرحه، ومعالجته للقضايا التي تطرق إليها من خلال مطارحاته العلمية ورؤيته للراهن واستشرافه للاراهن بطرح جديد وقراءة منبعثة من أصل الدين الإسلامي حيث تتجلى عبقرية **"إقبال"** وتفوقه في مزجه بين عذوبة الشعر وقوة الفكر هذا مما عزز مكانته ولفت الانتباه إليه مفكرا وأديبا وشاعرا ومكانة التفوق لم يكن ليبلغها كمفكر فحسب ولا كشاعر فحسب،هذا ينم على عظمة هذا الإنسان وتفوقه على أقران عصره.

لقد استطاع الوصول إلى المزاوجة بين النزعة الروحانية والنزعة العقلانية وحفظ معيارية طرفي هذه العملية دون نفي أو تعارض بينهما وهذا ما تلمسناه من خلال سيرته وسلوكه متجلّيا في ثنايا أدبه وفكره إلى أن نبلغ فكره الفلسفي.

ويعتبر جهد**"إقبال"** وفلسفته عاكسا لتجاربه الخاصة (الذاتية) ـــ التجربة الدينيةـــ التجربة الشعرية ــ التجربة الفلسفية.هذا ما يمكن أن نصغه بصيغة موازية ،أنه جمع بين الروحانية والفكر وكذلك الجمالية عبر مدّارج الوحي - القرآن الكريم- الذي هو المنبع الرئيسي لفلسفة "إقبال" الأصلية كما أسلفنا الذكر وأصلها الأصيل وركنها الركين بتأويل إقبالي فريد .

لما درس **"إقبال"** المعرفة والثقافة الغربية عدّها تفتقد إلى إيديولوجية شاملة لإنسان متكامل معنى ذلك أنها إيديولوجية متشظية على عكس من ذلك نجد بأن المسلمين وحدهم من استطاع امتلاك هذه الأيديولوجية المتكاملة،وأن هؤلاء الغرب حسبه قد أبدعوا في العلوم والفنون. كما حذر المسلمين من مغبة الانبهار بعقائدهم كما يعتقد **"إقبال"** على

غرار **"محمد عبده"** أن الحل يكمن في إصلاح المنظومة السياسية والاقتصادية على ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء.

نهج **"محمد إقبال"** منهجا ينم عن نزعته النهضوية للمسلمين، وبث روح اليقظة فيهم مبتعدا على النزعة العلمية الأكاديمية ،واستعمال وكذا استعارة الآيات كبرهنة على أطروحاته في الراهن الإسلامي وكذا نظريات معاصريه(نظرة**"برغسون"**و**"وايتهيد"**). لقد تجاوز **"إقبال"** في مطارحته لإمكانية الذات البشرية المفكرة في بلوغ اللامتناهي إمكانياتها دون تقيّد لبلوغ اللامتناهي عكس ما ذهب إليه كل من"الغزالي" و**"كانط"**لأن هذه الملكةـــ الفكرـ موجودة فيه بالقوة تحطم حدود تناهيها وتستمتع باللامتناهي لتضفي على نفسها قيمة متعالية كما أن حركة الفكر تصبح ممكنة اشتراطا بحضور اللامتناهي حضورا ضمنيا في ذاته المتناهية كأنها على حد رأي "إقبال" تحية من المتناهي لغير المتناهي وهذه العملية إضفاء حقيقي لكمالات الذات البشرية المتناهية لإدراك اللامتناهي.

في رحلة البحث عن الكمال ينتقل بنا **"إقبال"** من التجربة الكلية إلى التجربة الفردية أو الخّاصة،أي من التجربة الدينية ذات الصلة بالبراهين الفلسفية والأطر المنطقية العقلية إلى التجربة الشعورية لأن مطلب الدين ينحو بالإنسان إلى طلب الحقيقة، ولأن هذه الأخيرة ما هيّ إلا ماهية روحية ولا يمكننا تصورها إلا وفق الذّات باعتبارها معطى ذّاتي.وهذه التجربة الشعورية كيفيات فلا يمكننا معرفة كيف التحاقها بجوهر النفس من حيث أنها لا تنفصل عنه ومنه نجد أن تجربتنا الشعورية عاجزة من أن تزودنا بمفتاح إلى النفس بوصفها جوهرا روحيا.ومنه يمكننا أن نقول أن الجوهر الروحي لا يكشف عن نفسه في التجربة،بل هو بعيد عنها. كما أن شرط تحقيق السعادة والفضيلة والتلاقي والإتحاد بينهما ليس حكرا على اليوم الآخر كما اعتقد **"كانط"** أي في اللازمن بل المؤمن يمكن تحقيقها في زمن متناهي (الدنيا).

وأحقية الذّات في ذّاتيتها- تفردها- في جهدها الذي تبذله - الذّات- لكي تكون شيئا بشحذِ فرصها وتحصيل ذّاتية أكثر عمقا وفقا للعالم الموضوعي، و دليل أحقيتها يكمن في أنها ذّات مفكرة.ويقارن **"محمد إقبال"** بالراهن في العالم الشرقي الإسلامي ونظيره الغربي في تقدمه وتطوره،فيرى أنه يجب على عاتق كل مسلم أن يفكر تفكيرا جديدا وجديا في نظام الإسلام كله دون بتر الماضي بترا تاما - الأصالة (الأصولية) المعاصرة - حيث تعتبر المنظومة الفلسفية لـ **"محمد إقبال"**مجملة وشاملة في طابعها عني بالبحث في نفس الإنسان وفي العمل أي كفاعلية لهذه النفس.

ينطلق **"إقبال"** في تأسيس فلسفته من دواعي التخلف الذي تفشى ويعيشه عالمنا العربي الإسلامي حضاريا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وحتى أيضا مفاهيميا من خلال نقد الواقع والذي هو في حقيقة الأمر نقد للتجربة الإسلامية والبنية المعرفية والتاريخية وفق أسس علمية موضوعية تستند إلى أصول صحيحة دون تأويل للنص القطعي الدّلالة.

إن مشكلة عالمنا الإسلامي العربي في التكديس المعرفي وتقديس التاريخ هذا مما جعل **"إقبال"** في فلسفته وتأسيسها على نهضة الفرد التي تنبع من بناء الذّات بناءا أصيلا

تستمد قوتها من النبع الديني الأصيل والصافي ومن تراكمية الماضي والحاضر الجديد.أي قوة الفرد في تجاوز الجمود والتحجر وإتاحة للعقل إبراز قدرته على النقد الموضوعي في كنف الحرية والموضوعية. الذّات الكونية (العالمية) فكرة بنى بها **"محمد إقبال"** فلسفته، فهي حركة تبدع الحياة وتدافع عنها ضد الموت وهي في صراع دائم مع الموت منتصرة عليه دائما فالذّات تستمد قوتها من ذاتها نفسها وضعف الذّات يقلص في الحياة مداها وقابليتها على الفعل والتأثير وعندها تضمحل الحياة وتنتهي بالموت.

فالذّات هي الكائن الفرد الشخصية والقدرة والكمال وهي في تطور وارتقاء بجهدها الخاص فطبيعتها الخاصة تنحّ دائما نحو الكمال إلى أقصى حد ممكن وإلى البذل والجهد العنيف ولبلوغ هذا الكمال فلا بد لهذه الذّات أن تلاقي الصعاب والأهوال ويجب عليها أن تتغلب عليها.

إن هذه العملية هي ارتقاء من درجة إلى درجة لتحقيق فعل الكمال في مشقة وكبَد هذا الجهد الشاق يدفعك إلى تسلق مرتقى الوجود وهو الذّات أو الأنا الحقيقي الذي لا يمكن أن يرى ولا أن يفسَّر مختبئ خلف الذّات الفاعلة، كنهها هو الحب والحب تبصر للذّات وصون لها .

يقول **"محمد إقبال":« جوهر الحياة هو الحـــبُّ وجوهر الحب هو الـــذّات**

)»الغوري ,د،س(66 .p ,

أعلى **"محمد إقبال"**لشأن الذّات الفردية وفي سعيها نحو الرقي والكمال ففي مجموعها تخلف ذات واحدة وهي في اتساع وتطور مستمر وهي في نفس الوقت تنفي أي ذّات فردية "شخصية" فاللاذّات تكون الذات في المستوى الجماعي وهذا لا يفهم أنه تخريب للذّوات الفردية بل فيه دعم وانسجام وانصهار كما جاء على لسان الصادق الصدوق، فعن **"النعمان بن بشير"**- رضي الله عنهما- قال:قال صلى الله عليه وسلم:« **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** (مسلم، د،س، صفحة 1999)**.**

فنفي الذّات هنا ما هو إلى غاية الذّات الشخصية بل دليل ارتقائها،قال**"محمدإقبال"**في ديوان جناح جبريل :

«ما أسعدني عندما يوهب في ذوق الـــذّات إنه يدفعني إلى الخروج من ذاتـــي»(الغوري، د،س، صفحة 68)**.**

فهذا يعني أن المجتمع الإنساني العالمي سيتم إنجازه على قدم المساواة بين مجموع أفراده تكافلا وتراحما لا بسيطرة بعضهم على بعض.

ويقول **"محمد إقبال"**أيضا:

« يا من في القافلة سِـــرْ رفيقا وكن وحيـــــدا »(إقبال، د،س)

وفي الرجل العظيم يقول أيضا:

« هو في المجمع خـــال ومن الحشد طليـــق

مثل شمع الحفـــــل في الحفل وحيد ورفـيق»(إقبال، ديوان ضرب كليم، د، س)

جوهر الدين عند **"إقبال"** يكمن في الإيمان، وهذا الإيمان يواصل سعيه للمجهول حرا طليقا غير عابئ بقيود العقل.

على ضوء ما تناولنا في فلسفة **"إقبال"**يمكن أن نقول أنه أبو الوجودية في الإسلام لا لشيء إلا كونه أقام أسس فلسفته على ما سماه **"خودي"**- الذّات أو الذّاتية- وخلاصة فلسفته تتصل بما يلي:

أن الفردانية (الذاتية) جوهر الكون وأساس نظامه وسر الحياة فيه هذا يعني أن أبعاد الذّات تتجاوز العالم الضيق وتنفتح على أسرار العوالم الأخرى.

هذه الذّاتية تستمد قيمتها ووجودها في مقاصدها وفي بث الآمال حيث يقول **"إقبال"**:

«نحن أحياء بتخليق المقاصد ونحن منيرون من شعاع الأمل »(الغوري، د،س، صفحة 79).

وقوة الذّات تكمن بالمحبة والعِشق وسعيها الحثيث إليها مكابدة دون كلل وملل.

الكفاح والمجاهدة الدائمة هذا مما يستوجب تقوية للحياة وازديادا لها عبر معارج الأنوار،أما التردد والسكون والخضوع يضعف هذه الحياة ويطفئ وهجها.

وعلى الإنسان الحق أن يعرف مكامن فطرته ومواهبه ويستخرجها معتمدا بذلك على نفسه قولا وفعلا وألا يكون نمطيا وعالة على غيره.

وجملة كل هذا القول هو دعوة إلى استقواء الذّات، وقوّة الذّات هيّ مقصد هذه الحياة، فبالقوّة يكون للذّات الحضور وبالقوّة نرى الجمال والجمال لا يكون بغير جلال.

إن جدلية القبح والحسن والخير والشر والعلو والانحطاط والقوة والضعف ثنائيات استعملها **"إقبال"**للتعبير عن مفارقة هذه الذات.

كما أن الذات أو الفردانية القوية تتجه إلى الجماعة وتنصهرفيها لأنها متميزة ومتفردة في ذّاتها.

3.الإنسان المتسامـــــي عند "محمد إقبـال"

الإنسان المتسامي هو ذلك **"الأنا"** أو الذات المتعالية المتمثلة في فعل الحياة لتكوِّن الشخصية الحقّة في عالم الإمكان والتمكن والتمكين فهو منتمٍ ومتمثلٍ في الأرض معراجه المتعالي المتسامي في السماء، فإن مقتضى فلسفة الكمال والتسامي عند **"محمد إقبال"** ضرب من الضروب والأقيسة المثمرة التي تعلي من شأن الإنسان واكتشافه على سائر الموجودات والعالم، إنه اكتشاف لقيمة ثابتة مفقودة، محاولة منه العثور من خلاله على الإنسانية الحقّة والضائعة في زمن فقدان المعنى، فلا حاجة لنا للعالم قديمه وجديده إذا فُقِد الإنسان وضاعت من خلاله الإنسانية فهو جوهر المقصد وغاية الطلب.

فرحلت البحث عند **"إقبال"** كلِّلت بإيجاد مطلبه الذي كان ينشده في معنى الإنسان وخلاصته التي ننعتها بالكمال، هذا الكمال ما هو إلا القوة، قوة في الحياة وقوة في الجمال والكمال والتي هي سمات المسلم بملء الكلمة، وكل هذا البحث كان شاعرية فلسفية نابعة من أصالة ومن روحانية طاغية في شعر **"إقبال"**.

ولو تمعنا في معنى الكمال عند فيلسوفنا **"إقبال"** لوجدناه ينحو منحى المثالية في هذا المسلم، مثالية تستقي مَا صِدْقَها من أرض الواقعية، تتجسد هذه المثالية في قدرة هذا المسلم

المثالي على تميزه على سائر المخلوقات بإيمانه ويقينه، مخالفا بذلك أهل الشك والظن بشجاعته وقوته الروحية ومقارعة الأهوال بين أهل الجبن والخوف وبين عبّاد الشهوات والأهواء والمنافع إلى تجرده وتمرده على القيّم الزّائفة، والأشياء الحقيرة وبزهده وآثاره وكبر نفسه على أهل الأثَرة والأنانية .ومن خلال كل هذا يحق لنا أن نقول أن إنسان **"إقبال"**صاحب رسالة لا صاحب هم، يعيش لرسالته وبرسالته لا يريد جزاءا ولا شكورا ذاك هو المسلم الحق الثابت على الحق،لا يتغير ولا يتلون وما عداه زبد جُفاء.

هو كالغيث أين وقع نفع، وكالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وكالصخرة الكئود تتكسر عليها كل العوائق وتبني كل ركن شديد.

ويستطرد **"إقبال"**في مطارحته في تبيان الإنسان الكامل وحدوده بمنطق أنطولوجي وحدد وجوده بوجودين، وجود إنساني ووجود إيماني، فما كان إنساني كان قاسما مشتركا مع بقية أبناء جنسه من منشأ وخَلقٍ وأحوالٍ وأعراضٍ يشاركهم فيها، أما وجوده الإيماني فهو مثقل بحمل الرسالة، رسالة الأنبياء والمرسلين مخلصا اعتقاده يعيش لغاية خاصة، فهو سر هذا الوجود ودعامة من دعائم العالم ومطلب للبشرية وله بذلك استحقاق العيش والنصرة والازدهار. إن كمال الإيمان في كمال الإنسان فالإيمان استكمال للكمال وشرط الكمال من شرط الإيمان فعلى قدر الإيمان يكون الكمال. وحقيقة الإيمان تكمن في التجربة الإيمانية الحية مشاركة واتصالا وثيقا.

إنه النموذج الحق مركز هذا العالم وقلبه النابض، تدور في فلكه نوازع الخير وحقائق الوجود مرتبطة بغايات الإيمان والأخلاق. إنه سكون هذا العالم بعد ضوضاء الجهل والعدمية إنه خالد باقٍ كبقاء الشمس والكواكب النيِّرة تفنى الأرواح والأنفس وتدرك الجبال ويُقَوض السلطان وهو قائم شامخ لا يزول ولا يحول. ففلسفة**"إقبال"**في خلود المسلم كونه حامل رسالة خالدة محتضن لأمانة خالدة ومقدر له يحي لغاية خالدة، فهو تجلٍ لسمو كامل.

فخلود رسالته من خلود رسالة الأنبياء والتي جاء بها أولوا العزم من الرسل فهذا المسلم هو رسالة الله الأخيرة وخاتمة الرسالات لا يعتريه زوال ولا تبديل، وهذا لا يعني أنه لا يفنى ولا يموت بل هو خالد بخلود الإسلام يأتي موج ويذهب آخر وكلها تتلاشى في وجود البحر وهذا البحر لا يتغير، وهو امتداد دائم تتبدل أمواجه (الأفراد) ولا يتبدل كيانه (وجوده الحقيقي).

إن في كلام **"محمد إقبال"** شجون حينما يتعمق في سبر أغوار المسلم الذي يجعل منه غاية هذا الكون خُلِق له وخُلِق هو لله، خُلِق هو لعمارة الأرض وخلافة الله فيها، فهو الخليفة الحق ولأجله العالم خُلِق، وهو مشروع فعل وتأدية واجتهاد وجهادٍ لتطبيق العقيدة الحقّة بعلمه وإيمانه. فلا كمال دون ذلك فمشروعية وأحقية الإنسان المسلم تكمن وتتجسد على أحقيته في سيادة العالم، لأنه الأجدر والأحق بها من دونه فمقامه مقام الإمامة والقيّادة والإرشاد والتوجيه والأمر والنهي، لا مَقام تقليد وإتباع، فهو يفرض على البشرية اتجاهها وعليها إرادته ليس فقط بأنه مسلم بل لأنه صاحب رسالة وصاحب العلم اليقين مكلف

برعايتها حق الرعاية وإن صحّ القول بتفويض إلهي. هو ذاك الثائر على الأوضاع المنحرفة عن جادة الصواب والمقوِّم لها، حياته حياة نزال وصراع لا مهانة ولا مداهنة حتى يقضي الله أمر كان مفعولا. فإن طبيعة ذاتيته لها الدافعية القصوى إلى أقصى حد ممكن بلوغه بسلطان الله، وإلى البذل والعطاء والمجاهدة العنيفة، يقول **"إقبال"**:

« يتجاوز الهلال كلَّ وجوهه وجها بعد وجه .من يستطيع بلوغ الغاية القصوى دون جهد كبير؟»(إقبال، ديوان جناح جبريل، د، س).

ويرى أيضا **"محمد إقبال"** أن صفة الخضوع والاستكانة للأحوال والأوضاع القاهرة وإعطاء الأعذار للقضاء والقدر، هو من شأن الأقزام والضعفاء، فالله غالب على أمره وأن لا يدع هذا الإنسان للقدر إلا القدر ، وأن ماهية هذا الإنسان تكمن في تلك القوة الكامنة في الانقلاب الصالح حاملة معها بشائر السعادة والأفق المنير بطلوع شمس يوم جديد وقد محت ظلام الليل الغاسق، فالمسلم رائد الانقلاب مؤذن بنداء عال يبث من خلاله السعادة في العالم هو حقيقة رسول الحياة، وكأني به نفخة في الإنسانية الميتة والمحتضرة تعيد بها إيقاظ وإحياء الضمير البشري من جديد. إنه آذان المؤمن الصادق في الفجر الصادق، وما هذا إلا أنه قد استمد قوته من إيمانه واندماجه واضمحلاله في إرادة الخالق بها يتحول إلى جارحة للقدرة الإلهية، قوة قاهرة فهيّ غَلّابَة تفك العقد والمشاكل، تفتح الأبواب الموصدة وهذا المؤمن كما يصفه **"إقبال"** جسمه من تراب وفطرته من روح، متخلق بأخلاق القرآن، وقلبه غني عن العالمين حامل رسالة عالمية وحقيقة ربانية لا تنحصر في حدود الجنسية والوطنية الضيقة، بل تتخطى حدود الزمان والمكان، لتفيض على الإنسانية بوجه عام كل أرض أرضه وملكه.

زيادة على ذلك يعتقد **"إقبال"** أن المسلم يجمع بين المتناقضات من الأخلاق والصفات لكن في حقيقتها ليست كذلك، هيّ ظلال صفات الله ومظاهر أخلاق الله فهو في تسامحه وسعة صدره وصفحه فإنه قد تحلى بخلق "الغفّار"، وفي شدته في الدين وغضبته للحق وثورته على الباطل قد تحلى بخلق "القهار"، وفي نزاهته وعفته وطهارة ضميره تحلى بخلق "القدوس"، وفي صلابته وقوة شكيمته وشدة بطشه تحلى بخلق "الجبار"، ولا يتأتى لهذا المسلم أن يكون المثال الكامل من المثل إلا إذا جمع بين هذه الأخلاق أي بين الشدة، واللِّين والغضب والرحمة، والصلابة، والمرونة، والعفة والنزاهة. حيث أضحى الميزان العادل والقسطاس المستقيم، يدلنا هذا المؤمن عن رضا الله وسخطه، به يعرف الحسن من القبيح فكلما حسن في نظره فهو حسن، وكلما استقبحه فهو قبيح، وفي عزائمه تظهر إرادة الله، حقَ له أن يكون القرآن الناطق أو الدين الساعي على قدميه، فهو القديم والجديد أي فوق الزمان والمكان تخطى حدودهما ليرسم لنا مفاهيم وقيم جديدة صالحة لعصره ومعاصريه.

نور تستضيء به الكائنات، في خضم هذا الوصف البليغ للمؤمن الحق، يذهب بنا **"إقبال"** إلى أنه يجبللمسلم أن يركب بحر الأهوال وحقيقة الصراع مع الباطل فهو حسب **"إقبال"** المنافس الوحيد والمصارع الشديد للمؤمن.

ويهيب**"إقبال"** بعظمة الإسلام في أحقيته في أن يتولى زمام البناء الحضاري حيث يرى في الحضارة الأوروبية أفولا وشيكا، فهي قد استكملت دورها وشاخت وهرمت كالفاكهة التي استوت وحان قطافها. ويجب على الإنسانية أن تتمخض بعالم جديد وحسب**"إقبال"** أن هذا العالم الجديد لا يكون إلا في كنف من بنى للإنسانية بيت الحرام، وتركة **"إبراهيم"** و**"محمد"** عليهما الصلاة والسلام. يقول **"إقبال"** في المسلم المؤمن حيث يقول:

« يبدو المؤمن كل لحظة في نهار جديد.

يتجلى الله في أقواله وأفعاله .

السلطان، والرِّفق، والصفاء والقدرة الكلية:

هذه العناصر الأربعة ضرورية لبناء المسلم.

إنه جار "جبريل" كما هو إنسان الأرض.

لا يرتبط بـ "بخارى" ولا بـ "بدخشان".

ما من أحد يعرف هذا السر: المؤمن.

الذي يبدو أنه قارئ القرآن وهو القرآن حقا!

نواياه على مقياس مصائر الطبيعة.

إنه الميزان في هذا العالم، إنه القسطاس في يوم الحساب.

إنه الندي الذي ينعش قلب شقائق النعمان.

إنه الشيء الذي يرعش قلب الأزهار.

أيامه ولياليه لحن الطبيعة الخالد،

لحنا مثل سورة الرحمان (الرحمان) في القرآن ليس لموسيقاه نظير.

في معمل فكريٍّ تُصْنع النجوم.

وأنت يا هذا! اعرف نجم قدرك»(إقبال، ديوان عصى موسى، د، س)**.**

وفي قصيدة أخرى يصف الإنسان المؤمن في هذا العالم :

« ناعمٌ كالحرير في حلقة الأصدقاء.

صلب كالحديد في معركة الحق والباطل،هذا هو المؤمن.

ينازع السماء، كأنه ندٌّ لها .

يحتقر الأرض ، وهو من الأرض ، هذا هو المؤمن.

لا تجتذب السُّمانى والحمام بصره .

بل يقتنص "جبرائيل" و"إسرافيل"،ذلك هو المؤمن»(إقبال، ديوان عصى موسى، د، س).

هو المسلم المؤمن الذي له الأحقية الكاملة في تشيّد هذا العالم الجديد على ضوء الشريعة السمحاء ، فتصبح الأرض بيتا من بيوت الله جُعِلت له مسجدا وطهورا ، يُرفع ويذكر فيها اسم الله ، ولا يتأتى هذا إلا بوثبة حقيقية من المؤمن، وأن يستيقظ من سباته ووهنه الذي طال به فيحق فيه قول الحق تعالى:

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكرِ أن الأرض يرثها عباديّ الصالحون »(الأنبياء، الآية 105-106).

ويقول "إقبال":**«في الغرب العقل مصدر الحيوفي الشرق الحب قوام الحيـاة ،**
إنما يدرك العقل الحقائق بالحبفيثّبت مكاسب الحـــــــــب .
انهضوا وأقيموا دعائم بالتوفيق بين الحب والعقـــل»(إقبال، جاويد نامه).

ما أكده **"إقبال"** هو أن الدين الإسلامي كامل شامل، وكمال الدين يرجع أنه دين العقل ولهذا فهو الدين الذي تمت به نعمة الله بهذا الكمال لقول الحق تعالى**:** «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا»(المائدة، الآية 3).

وبمقتضى هذا الكمال كان لزاما لانتهاء النبوة، و يسطع بذلك العقل والتجربة في حلة كاملة.

عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إنشاء أمة صاحية وواعية وعاملة ، وأن كل ما لحق من الإسلام من نكوص وتخلف وتأخر ، رغم أنه لم يتراجع إلى السلبية القاتلة إلا بعد انهيار سلطان الأمة السياسي ودخول التيارات الشعبوية بمختلف توجهاتها وتفرعاتها والداعية إلى الهروب من الحياة أو الداعية إلى قتل الذّات وإفنائها بدلا من إحيائها وتفرُّدها . والسبيل حسب **"إقبال"** إلى تجاوز هذه العدمية والانحلال هو العودة إلى القرآن لأنه هو الميزان المقوِّم للحياة، وكمال الإنسان عند **"إقبال"** يفسره قوله : **« تخلقوا بأخلاق الله »** (محمود، 1986/05/15، صفحة 84)وأن الإنسان الكامل هو صفة النبي محمد ذاته صلى

الله عليه وسلم لأنه المتصف بأخلاق القرآن (الله) الذي قال فيه الحق:« **وإنّك لعلى خلق عظيم** »(القلم، الآية 04).

بهذا الاتصاف الباهر والمبدع تُصبح أخلاق الفرد أخلاقا بغير مثيل بعيدا عن الإتحاد بالذات الإلهية، وعن شطحات وهم حلول الله فيه- الإنسان - وبعيدا كل البعد عن تصورات وحدة الوجود.

الإنسان حسب **"إقبال"**لا مجال لاستيعابه في الله مثل قطرة الماء في المحيط، وإنما يكون الإنسان في تفرده كسراج منير في ضوء النهار، أو كقطعة من الحديد تتوهج عندما توضع في النار ومع ذلك تبقى متفردة لها كيانها الخاص. ومن هنا وجب ولزم أن يكون الإنسان الكامل هو الإنسان الذي لا يَضِلّ- يخضع- في الكائنات بل تَضِلُّ هيّ فيه،أي تسخر له فيتصرف فيها بالخير والنفع للناس أجمعين،فبمقتضى الشَّرعة الإلهية وعلى صراطها وهديها المستقيم.

وكمال الإنسان في انسه بالله وتقربه منه أي أنه يستوعب الخالق في ذاته دون العكس، فيقول **"إقبال"** في مقطوعته الشعرية:

« زائد بالحب في الذات رواء وحياة واشتعال وبقاء
مشعل بالحب منها الجوهرة يتجلى من قواها المضمر»(عزام، 2012، صفحة 84).

ويقول أيضا في كمال الإنسان المتفرد بعقله ووجدانه :

«قد قلتُ للبحر يوما في موجِه المتعالي
أراك دائبَ سعي فما تكنّ ببال؟
كم قد حويت بصدرٍ من لامعات اللآلي
أفيك مثلي صدرٌ بجوهر القلب حالي
فصدَّ عنِّي بجز ولم يردَّ سؤاالي
وقلت للطَّود يوماً يا خاليا من عناء »!(عزام، 2012، صفحة 179)

4.خاتمة:

بعد الخوض في مسألة الإنسان المتسامي عند **"محمد إقبال"** وكيفية مقاربته للتسامي يمكننا تدوين بعض النتائج فيما يلي

- هذا الإنسان هو عبارة عن تحقيق ثنائية الجسد والروح وأن تجليه هو إثبات وجوده على الأرض لا صورة ذهنية مجردة فحسب بل حقيقة واقعية فعلية حركية.
- فعل الحياة نابع من نفي الذات وإثبات الذات مقرونة بمعطى وجودي آخر وهو طاعة الإله على هدى وبصيرة وتأمل.
- الإنسان له جناحين جناح الإيمان (القلب) وجناح العلم (العقل).
- التأويل عن طريق الاجتهاد عبر معطى الزمان و المكان .
- تجديد الخطاب الديني وفق معطى الزمكان.
- العقل وحده لا يثبت الإله بل عليه استخدام القلب (الإيمان).

- أسلمت فكرة الحداثة الغربية وقبول الآخر في ظل إقامة بناء فلسفة المعنى القيمي .
- الحضارة هي مشروع إنسان وتجليه كعمل في الواقع العملي .

6. قائمة المراجع:

الإمام مسلم. (د،س). صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (المجلد 4).
المائدة. (الآية 3).
الغوري سيد عبد الماجد . (د سنة نشر). ديوان محمد إقبال (المجلد ج1). دمشق -بيروت: دار ابن كثير.
سورة الأنبياء. (الآية 105-106).
سورة القلم. (الآية 04).
سيد عبد الماجد الغوري. (د،س). ديوان محمد إقبال (المجلد ج1). دمشق-بيروت: دار ابن كثير.
عبد القادر محمود. (1986/05/15). مجلة القاهرة- عدد 58.
عبد الوهاب عزام. (2012). محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
محمد إقبال. (بلا تاريخ). جاويد نامه.
محمد إقبال. (د، س). ديوان جناح جبريل.
محمد إقبال. (د، س). ديوان ضرب كليم.
محمد إقبال. (د، س). ديوان عصى موسى.
محمد إقبال. (د،س). ديوان أسرار خودي.